الوجهة الثامنة

وتحتوى على تسع صور وتشمل تفصيلات

عن علامات رأس النبى الشريف ومقام جبريل الأمين السامى

وكيف تحفظ وتعلق الهدايا الواردة

وفى أى عصر وتاريخ أسست القبة الخضراء ومقصورة القبر الحديدية

فى ذكر علامة الجهة

التى يوجد فيها رأس الرسول ﷺ

كانت العلامة الفارقة لرأس النبى الشريف فى الصدر الأول صندوقًا مغطى بألواح فضية، وكان هذا الصندوق بجانب العمود الملاصق لجدار القبر وكان ذلك العمود فى منتهى الناحية الغربية لجدار الحجرة المعطرة وفى محاذاة أسطوانة التوبة وأسطوانة السرير، وزمن وضع ذلك الصندوق وتاريخه يكاد يكون مجهولاً فى نظر التاريخ إلا أنهم يروون أنه قد وضع قبل حريق سنة خمسمائة وثمانين رواية قوية ولا شك فى صحة هذه الرواية، وكانت فى جهة رأس الرسول شجرة مزينة فوق الصندوق الصغير تحيط بالأسطوانة المثبتة بجانب الرأس، ولما احترقت هذه الشجرة من الصندوق فى الحريق الثانى ركزوا مكانها عمودا رخاميا وكتبوا عليه بخط جميل البسملة الشريفة والصلوات المنيفة ووضعوا بجانب العمود صندوقًا صغيراً، والآن فعلامة الرأس الشريف النبوى هذا العمود.

ومازال ذلك الصندوق الصغير موجوداً ولكنه تحت غطاء قبر السعادة، ويوضع فيه كل سنة خشب الصندل الهندى ويؤخذ القديم منه وبقيت هذه العادة من عهد عمر بن الخطاب وقد حفظ بالصندوق ماء الورد والعنبر والصندل لتبخير المسجد والأشياء الأخرى فى داخل ذلك الصندوق وقد أصبح وضع الأشياء المذكورة فى داخل ذلك الصندوق فى حكم العادة لدى الخلفاء والملوك الذين بعده؛ ولكن مسجد السعادة اتسع وكثرت تلك الأشياء الواردة لتبخير المسجد فاستصوبوا وضع تلك الأشياء فى أماكن أخرى مكتفيًا بوضع الصندل الهندى فقط داخل ذلك الصندوق علامة رأس النبى الشريف ﷺ.

أصول تجديد الصندل: هناك نظام جميل بين أغوات حرم السعادة خاص بصورة تجديد الصندل الموضوع فى داخل الصندوق، وهذا النظام جار إلى يومنا هذا، عندما يحين الوقت المعين للتجديد تولم وليمة ويقدم طعام من قبل شيخ الحرم أو نائبه فى دائرة الحرم لبعض أهل حرم المدينة.

ولكن جميع المدعوات من النساء يطحن الصندل المجهز وهن يصلين ويسلمن على النبى بالفقرات المسجوعة طحنًا جيدًا قبل الطعام وعندما تنتشر رائحته إلى الجهات الأربعة يخلطنه بماء الورد أو أنواع أخرى من العطور وفى ختام ذلك يتناولن الطعام الذى أعده صاحب البيت ويرسلن ما جهزنه إلى أغوات الحجرة المعطرة ليضعوه فى الصندوق الذى تحت غطاء قبر السعادة، ويعبئ الأغوات الصندوق المذكور بالصندل الجديد بعد أن يفرغوه من الصندل القديم وفى أثناء ذلك يهللون ويكبرون ويصلون على النبى ﷺ ويسلمون ويرسلون الصندل القديم لأحبائهم للتبرك.

والفقرات المسجوعة التى ترددها النساء فى أثناء وجودهن فى جمعية دق الصندل الذى يستلزم المفخرة هى: لما بدينا * على النبى صلينا * العادة يا سادة.

والوقت المعين لتجديد الصندل الليلة التاسعة عشرة من ذى القعدة كل سنة، وبعدما يدق بأدوات مزينة ويغربل بغرابيل فضية يمزج بعطور مثل ماء الورد، عنبر ودهان الورد ثم يعجن كالعجين ثم يوضع فى صحون ذهبية وفضية ويحمل إلى حجرة السعادة التى تغسل وفى اليوم الثانى يدخل فى داخل شبكة السعادة فى موكب خاص، ولا يدخل من هذا الموكب فى داخل حجرة السعادة غير شيخ الحرم، ونائبه، وخازن الحرم.

والصندوق الذى يضعون فيه الصندل تحت عقد الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز والغطاء الذهبى لقبر السعادة فوق هذا العقد فالصندل الجديد يوضع من ناحية الرأس الشريف النبوى للقبة التى تحيط بمرقد النبى الجليل.

وليس الصندوق الذى يوضع فيه الصندل هو الصندوق الخاص بوضع المصحف الشريف عليه بل هو الصندوق الذى وضع بجانب أسطوانة السرير فى داخل المقصورة، وإن كان بعض الرواة يروون أن المصحف الشريف الذى يوضع فوق ذلك الصندوق هو المصحف الذى كان فى يد حضرة عثمان بن عفان حين استشهاده، إلا أن هذه الرواية غير صحيحة.

وبناء على قول ابن النجار أو بعض كتب تاريخ المدينة أن ذلك المصحف المنيف هو الذى أرسله الحجاج من الشام وكان قد وضع فوق الصندوق الذى أمامه المصلى؛ لأن مصحف الشهيد عثمان انتقل إلى يد ابنه خالد وظل فى يد أولاده من بعده.

وبناء على القول الذى نقله بعض مشايخ الشام لابن قتيبة أن المصحف المذكور نقل إلى أرض طوس فى فترة ما، كما ادعى الإمام مالك أن البلد الذى يوجد فيه ذلك المصحف غير معروف، مع أن ابن سلام قال: «إننى رأيت فى خزانة بعض الأمراء المصحف الذى تحدث عنه الإمام مالك حتى كان فى بعض أماكنه آثار دم وبهذا أراد أبو جعفر النحاس أن يرد رواية الإمام مالك وادعائه، إلا أن احتمال الحصول على ذلك المصحف المنيف بعد موت الإمام وإرساله إلى المدينة جائز ومن هنا فهناك نظر فى تخريج رواية الإمام مالك، وإن كان فى زماننا ثلاثة مصاحف فى كل من المدينة ومكة المكرمة ومصر وعلى الآية الكريمة:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

آثار دماء، إلا أن هذه المصاحف ليست المصحف الشريف الذى لطخ بالدم فى أثناء شهادة حضرة عثمان بل أنها مصاحف كتبت تقليداً لذلك المصحف والآية الجليلة لونت بلون أحمر فى لون الدم. وبناء على ذلك فالمصاحف الموجودة سواء أكانت فى المدينة أو مكة أو مصر باسم المصحف العثمانى فهى المصاحف التى أرسلها الحجاج إلى بلاد مختلفة، لأن عند استشهاد عثمان بن عفان كان

يمسك بين يديه مصحفًا واحدًا، وغير هذه المصاحف ففى مسجد السعادة كثير من المصاحف التى كتبت بخط نفيس جميل مزينة مذهبة بأجمل الزينة والتى أرسلت من الملوك والسلاطين، وأصحاب الخير.

وأجزاء لطيفة من القرآن الكريم، ومن ضمن هذه المصاحف مصحف مرسل فى سنة (١٢٥٠) هـ بين المصاحف المرسلة من ملوك الهند كهدية مصحف فى غاية الكبر فى الحجم وحتى يزار عند إهدائه وضع فوق كرسى خاص بجانب باب السلام وأغلق بالقفل من الأعلى، إلا أنه نقل عند التعمير الأخير مع كرسيه إلى المخزن القريب من الباب المذكور، وقد حُررت فى الوجهة الخاصة أسماء مهدى هذا المصحف والمصاحف الأخرى وتاريخ إهدائها وعددها وصفاتها.

الصورة الثانية

ترى وتعرف علامة جهة وجه النبى اللطيف

فى الجهة القبلية من الشبكة الشريفة التى تحيط بحجرة السعادة مسمار ساطع الأنوار من فضة علامة جهة وجه النبى ﷺ هى هذا المسمار الذى يبعد عن الزاوية الغربية قدر خمسة أذرع، وقد بين علماء الأسلاف جهة وجه السعادة قائلين: «كل من يقف تحت القنديل الذى فى مواجهة رأس السعادة واستقبل العمود الرخامى يكون قد توجه إلى الوجه اللطيف النبوى، إلا أن هذا التعريف خاص بوضع الحجرة النبوية قبل الحريق إذ لم يكن حينئذ فى محاذاة وجه السعادة إلا قنديل واحد معلق، وبما أن القناديل كثرت فيما بعد فما كان يعرف أى القناديل المعلقة يلزم الوقوف تحتها. والآن فمن يريد أن يكون فى مواجهة وجه السعادة، يقتضى أن يستقبل العمود الأحمر الرخامى فى محاذاة مسمار الفضة، إن هذا المسمار علامة الوجه الشريف، وقد سقط المسمار المذكور سنة (٧١٠) هـ وخلا المكان منه فترة وبعد عشر سنوات وضع فى مكانه سنة (٧٢٠) هـ. وعندما فرش رخام أرضيته الحجرة المعطرة فى (٢٣٢) نزع المسمار المذكور وعندما تم الفرش وسوى أضيف ثلاثة مسامير فضية أخرى بحيث وضع أحدها فى الجدار القبلى والاثنان فى الجدار الغربى ووضعت الأربعة كلها مرة واحدة فى أماكنها، وللأسف الشديد احترقت المسامير الثلاثة الجديدة وبقى المسمار القديم، وبما أن الشخص الذى كان أمين البناء قد ركب على باب المقصورة قفصًا غليظ الصنع كما كان لا يمكن رؤية المسمار العتيق ولا تشخيص وتمييز مكان مواجهة رأس السعادة، وكان زوار ذلك الوقت يقفون فى الجهة القبلية ويستقبلون قبر السعادة وبِحِسٍّ وجدانى يشيرون إلى جهة المسمار القديم قائلين

إن هذه الجهة هى جهة وجه النبى ﷺ، إلا أن شاهين الشجاعى الذى عين أمينًا للبناء فى عهد السلطان قايتباى المصرى قد بدل قفص المقصورة ذلك بالنحاس وأظهر المسمار المذكور وأبرزه فأبهج زوار مرقد السعادة وملأهم فرحًا وسرورًا. رحمه الله.

فى تعريف مقام جبريل الأمين وتعيينه.

كان مقام جبريل الأمين السامى بجانب مربع القبر الشريف، إن ذلك المسمار الفضى الذى وضع لتعيين المقام الشريف وعلامة خاصة لذلك كان فى انحراف زاوية الجدار الشمالى لمربع الحجرة الشريفة، وفى النهاية سقط ذلك المسمار ولم يوضع فى موضعه مرة أخرى وستر مكانه، من هنا ليست هناك علامة خاصة بمقام جبريل، ويعد هذا المكان ـ بناء على قول ابن جبير ـ من الحجرة المعطرة النبوية، ومن هنا يطلق على الغطاء الذى وضع فوقها مهبط جبريل ـ عليه السلام ـ إذ يدعى أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان ينزل غالبًا فى هذا المكان المقدس باسطًا أجنحته.

اختلف المؤرخون فى وجه تسمية هذا المكان المقدس، وقال بعضهم إن جبريل ـ عليه السلام ـ ظهر فى هذا المكان فى غزوة بنى قريظة، وقال بعضهم تسمى كذلك لقربه من باب جبريل، ومن المحتمل أن باب جبريل كان أولاً متصلاً بهذا المقام الشريف ثم نقل إلى مكانه الأول.

فرش حجرة السعادة وتعميرها وتجديدها

كان فى الزمن القديم حجر ألصق بالجدار القريب بمربع القبر الجليل، ويروى أن النبى ﷺ كان كلما زار دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كان يصلى بجانب ذلك الحجر نظير الجوهرة، وعلى قول آخر أن أمنا فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كانت تؤدى الصلوات الخمسة بجانب ذلك الحجر.

ويروى أن ذلك الموقع اللطيف هو المكان المنيف الذى ولد فيه السبطان المحترمان. وبناء على ذلك كلما أحس الحسين بن عبد الله بجسمه بمرض أو وجع كان يذهب ويحك محل الوجع بذلك الحجر ويحظى بالبرء والشفاء عقب ذلك، ولكن لشدة الأسف عندما فرش داخل الحجرة المعطرة بالرخام ضاع ذلك الحجر ولم يعثر عليه بعد، وفى الأوائل لم يكن فى داخل أو خارج حجرة السعادة فرش رخامى؛ وفى سنة (٢٣٢) هـ وفى عصر المتوكل بالله العباسى فرش داخل الحجرة الشريفة وخارجها بالرخام من قبل إسحاق بن سلمة من كبار معمارى ذلك العصر، وفى سنة ٥٨٤ هـ جدد حجرة السعادة قرب الحريق الأول فى غاية الرصانة والزينة.

ومد جمال الدين المشار إليه حول أطراف الحجرة المقدسة الأربعة جدار فى ارتفاع قامة إنسان من الرخام، ولم يمس أية جهة من الحجرة أحد إلا أنها جددت فى سنة (٨٨١)هـ[1] وسنة (٨٨٧) هـ [2] مرتين على صورة مطلوبة.

وكان الفرش الرخامى سواء أكان فى داخل حجرة السعادة أو خارجها أو الأماكن الأخرى من المسجد الشريف كل هذا فرش بعد الحريق الثانى؛ ولم يكن إلى ذلك الحريق فرش رخامى فى غير مكان المحراب العثمانى، والآن الفرش

(١) كان قبل الحريق الأول.

(٢) كان بعد الحريق الثانى وجدد من قبل الأشرف قايتباى المصرى.

الرخامى على يمينه ويساره، وحولت جميع الأماكن التى بين مآذن الركن الشرقى والغربى والأعمدة التى حول باب السلام والمنبر المنيف والحجرة اللطيفة ومحفل المؤذن إلى أعمدة رخامية، فى أزمنة الظاهر جقمق والسلطان قايتباى المصرى، وإن كان داخل الحجرة المعطرة فى عهد قايتباى المصرى قد فرش بالرخام إلا أن السلطان مراد الرابع قد بدل جميع قطع الرخام تلك بالقيشانى وجدد السلطان عبد الحميد جميع قطع القيشانى التى فرشها السلطان مراد مزينة بقطع أخرى بشكل أجمل.

ينقل عن أحد الذوات الذين قاموا بأنفسهم بتعمير الحرم النبوى الشريف فى العمارة الأخيرة ـ إذ كان من موظفى الحرم النبوى الشريف ـ هذه الحكاية الغريبة: «لما كان السلطان عبد المجيد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ قد أرسل جميع الأشياء اللازمة لفرش حجرة السعادة من باب السعادة وأمر بأن تفرش هذه الأشياء من قبل الأشخاص الذين كسبوا احترام الأرض والذين عرفوا بينهم بالزهد والتقوى ومن هنا فرشها الأشخاص الذين عرفوا بشدة تدينهم وبسماتهم الفاضلة من بين آل المدينة إذْ كان اثنان أو ثلاثة منهم يدخلونها مناوبة».

قال راوى هذه الحكاية الغريبة: «قمت أنا أيضًا بهذه الخدمة المقدسة، وكنت يومًا عجزت عن أن أضع إحدى قطع القيشانى فى مكانها، فأتيت بشمعة وعاينت مكانها، فرأيت أن قطعة القيشانى مزينة مجلاة وكانت خالية من العيوب، فقلبت ظهرها فوجدت أنها محلاة ومصقلة مثل وجهها وقد سطرت فى وسطها عبارة» المست عبد المجيد؛ «فنظرت إلى القطعة فكانت كتلك التى افتقدتها».

ألا فَلْيُنِلْ الله ـ سبحانه وتعالى ـ شفاعة الحبيب الأكرم ذلك السلطان المشار إليه، وإن كانت تلك الحكاية صحيحة يفهم منها مدى حب الملوك العثمانيين لسلطان الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا ـ ولاسيما السلطان عبد المجيد خان ـ جعل الله مثواه الجنة ـ ومدى إخلاصهم فى هذا الحب، من تلك الحكاية الغريبة.

ذيل

ولما رويت الحكاية الآتية تأييداً لصحة الرواية الغريبة التى ذكرت فأدرجناها هنا لتوضيح المدعى.

حكاية

قال أحد الذين يثنون على والد السلطان كثير المحامد إنه سمع هذه الحكاية من الكاتب السلطانى الأسبق فريد أفندى ذاتيًا: «قد اعتاد السلطان عبد المجيد خان ـ جعل الله مثواه الجنة ـ فى مرض موته أن يقرأ المعروضات التى ترسل إليه من الباب العالى فى حجرة نومه وهو مستلق على فراشه، وأن يُضَبّط أوامره السلطانية، ويومًا ما ظهرت بين المعروضات بعض الأوراق الخاصة بالمدينة المنورة فأمر أن يؤتى بمخدتين توضعان على جانبيه ثم جلس على ركبتيه واضعًا يديه عليهما فى أدب، مع أنه كان عاجزًا عن القيام من الفرش ليقرأ تلك الأوراق حتى غير المهمة منها وأمر رأسًا بإجراء ما يقتضى إجراؤه، ثم غير وضعه وأعيد رأسه إلى الوسادة؛ رحمة الله عليه رحمة واسعة.

فى تعريف ستارة الحجرة المعطرة.

كان جمال الدين الأصفهانى قد صنع حول حجرة السعادة سورا مشبكا من خشب الصندل والأبنوس، كما سبق ذكره فى الصورة الخامسة من الوجهة السابقة، وقد دامت هذه الشبكة الخشبية فترة، وفى سنة ٥٦٦ هـ جهز حسين بن أبى الهيجاء صهر صالح الوزير - من وزراء الملوك المصريين - ستارة من الحرير الأبيض مزركشة وأرسلها إلى المدينة المنورة تتعلق تبركًا فى حجرة السعادة، تحدوه نية خالصة. وبعد استأذن أمير المدينة المنورة قاسم بن مهنى المستضئ بأمر الله العباسى وعلق تلك الستارة فى حجرة السعادة.

كانت تلك الستارة البيضاء منسوجة من الحرير الأحمر والأصفر ومزينة بخرز مختلف الألوان ومطرزة بلآلئ ذات قيمة غالية، وسطرت على حزامها المصنوع من الحرير منسوجًا بالحرير الأحمر سورة يس الشريفة؛ ولما أرسل بعد سنتين من بغداد دار الخلافة ستارة نفيسة أخرى منسوجة بحرير بنفسجى وخيوط ذهبية فأنزلت الستارة التى أرسلت من طرف حسن بن أبى الهيجاء وعلقت الستارة الجديدة. وأرسلت الستارة القديمة إلى مشهد على بن أبى طالب؛ وكانت عبارة المستضئ بالله مكتوبة على الستارة التى أرسلت من بغداد، وكانت هذه الستارة بنفسجية اللون وكانت على أطرافها أطر قد رصت بلآلئ وكتبت على جوانبها أسماء النبى ﷺ، كما أن الناصر لدين الله أرسل ستارة منسوجة من حرير أسود فى أثناء خلافته كما أن والدته أرسلت ستارة أخرى جميلة عقب ذلك، وبما أن هاتين الستارتين علقتا فوق بعضهما فاجتمعت فوق حجرة السعادة ثلاث ستائر فى وقت واحد وظلت حجرة السعادة إلى عصر هارون الرشيد بالستارتين اللتين أهداهما المستضئ بأمر الله والناصر لدين الله، وزار هارون الرشيد مع والدته

الخيزران القبر النبوى الجليل وعلقا على الحجرة الشريفة ستارة نفيسة وأظهرا احترامهما ورعايتهما لهذه الحجرة وذلك فى سنة (١٧٠)هـ.

واشترى الملك الصالح بن الناصر محمد المصرى فى سنة (٧٦٠) هـ ثلاث قرى من قرى مصر المعمورة، وأوقفها بشرط أن يصنع بإيرادها كسوة للحجرة المعطرة والكعبة المعظمة وعلى أن يكون لون هذه الستارة أسود ويشغل بالحرير الأبيض وأن تحاط بإطار مصنوع ومطرز بخيوط ذهبية وأن يحيط طولها وعرضها بحجرة السعادة، وكان يبعث بعد ذلك كل خمس سنوات كسوة للكعبة المعظمة وحجرة السعادة.

وقال تقى الدين الفاسى وزين المراغى من المؤرخين، وترسل كل ست سنوات إلى الحجرة الشريفة ستارة من قماش أسود ويكتب فوق هذه الستارة بعض الآيات الشريفة بحرير أبيض وكانت طرزها (شراشيبها) مصنوعة من خيوط ذهبية (صرمه) وكان حكم الكسوة القديمة فى حكم الكسوة القديمة للكعبة الشريفة وتقسم بين الخدم[1]، ولكنهما قالا بأن الستارة الخاصة بمنبر السعادة يشترط فى صنعها أن تكون بيضاء اللون.

وقد اتخذت عادة إرسال ستائر خضراء فيما بعد إلا أنه قد أرسلت ستائر فى ألوان أخرى حتى إنه قد أرسل فى سنة ١٢٩٧هـ من باب السعادة مع محمل الشام ستارة مطرزة مزينة فى غاية الجمال ذات حزام أحمر، وكان فوق الستارة التى أرسلت من باب السعادة قطعًا مزينة من الأطلس الأحمر كتب فوق كل قطعة اسمًا من أسماء النبى ﷺ واسم المرحوم السلطان عبد المجيد خان وإن كانت هذه الستارة أرسلت فى عهد عبد العزيز خان وأهديت؛ إلا أنها كانت قد صنعت فى عهد السلطان عبد المجيد المميز بالبر والخير، والآن ترسل ستائر غير ستارة قبر السعادة، إلى تابوت فاطمة ومحاريب القبلة الثلاثة وباب مئذنة جدار القبلة الرئيسى ومقام جبريل والألوان الخمسة.

(١) بما أن بحث تقسيم الكسوة قد ذكر بدقة مفصلاً فى صورة بيان جوار تقسيم الكسوة من (مرآة مكة المكرمة) نوصى الذين يريدون أن يقفوا على ذلك أن يطالعوا ذلك الكتاب.

وكلها فى شكل واحد عام، كما أن هذه الأقمشة يطلق عليها بين الأهالى ستارة تعلق فى أماكنها من أول رجب إلى نهايته ومن عشرين ذي القعدة إلى عشرين من محرم الحرام وفى غير هذه المواسم تحفظ فى دواليب حجرة السعادة.

وفى كل جهة من جهات الحجرة المعطرة ولاسيما على أبوابها وعلى المنبر المنير النبوى ستائر وتعليق هذه الستائر خاصة بالأيام التى ذكرت، وكل هذه الستائر من قماش أطلس أخضر وعليه خطوط جميلة وأزهار مرسومة.

أصول تعليق ستارة قبر السعادة وتجديدها

والقاعدة تغيير ستارة حجرة السعادة كل ثلاثين عامًا أو أربعين عاما وعندما يراد تعليق الستارة الجديدة يصعد فوق مربع قبر السعادة لامع الأنوار من السلم الملاصق لأعمدة الجدار الذى تحت الستارة القديمة والذى أقامه عمر بن عبد العزيز ويربطون حبال الستارة الجديدة بالحلقان الخاصة لتعليق الستائر ويحلون حبال الستارة القديمة ويعلقون الستارة الجديدة فى محلها الخاص وينزلون الستارة القديمة.

وعندما يراد إنزال الستارة القديمة يقف الشخص الذى صعد فوق الجدار ليربط حبال الستارة الجديدة على أرض الحجرة وينتظر بجانب الطرف الشامى من الشبكة السعيدة، فتؤخذ الستارة القديمة على الأرض من حيث يقف هذا الشخص رويدًا رويدًا.

ومن العادات القديمة المرعية أن يكون الشخص الذى يصعد فوق جدار مربع قبر السعادة الذى تحت الستارة القديمة وكذلك الشخص الذى يكلف بالصعود فوق الجدار الشريف لإنزال الستارة القديمة أن يكونا من أغوات حجرة السعادة المسنين والمعروفين بالصلاح، ولا يخرج هذان الشخصان من حجرة السعادة قبل أن يكنسا التراب المتراكم بين قبر السعادة والستارة القديمة منذ أعوام طويلة.

الجوهر الشريف ـ الجوهر الشريف يطلق على التراب الذى يخرج من كناسة ما بين قبر السعادة والستارة القديمة بين الأرض ولما كان هذا التراب قد جاور مربع

قبر السعادة ما يقرب من ثلاثين عاما أو أربعين عاما ومن هنا اكتسب التوقير والقداسة.

وكل من ينال شرف هذه الخدمة التى تدعو إلى الفخر من أغوات الحرم يشترون ثلاثة أو أربعة من العبيد ويحررونهم، وإن كان من يحرر أكثر من هؤلاء فالذين لا يستطيعون ذلك يذبحون ثلاثة أو أربعة قرابين ويتصدقون بلحمها.

تعريف حجرة السعادة بالإجمال ـ قد عرفت الحجرة المعطرة بالتفصيل فى الوجهة الخاصة بها. إلا أن هذا التفصيل لم يكن بشكل متسلسل بل كتب كل ما جاءت المناسبة، لذلك استصوبنا إضافة بند خاص بعنوان (تعريف حجرة السعادة مجملاً) متذكرين لزوم تعريف الحجرة المعطرة بحيث يفهمها كل فرد فهمًا جيدًا.

الحجرة المعطرة ـ هى دار أمنا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ لما كان النبى ﷺ قد ارتحل فى داخل هذه الدار السعيدة عن الدنيا كان قد دفن فى المحل الذى فيه قبضت روحه الشريفة.

وأحاط عمر الفاروق هذه الدار حتى يحافظ على هيئتها الأصلية بجدار، ومد عمر بن عبد العزيز خارج جدار عمر بن الخطاب جدارًا آخر، ولكن حتى لا يكون على شكل الكعبة المعظمة ذات أربع زوايا دبب الجهة التى تقع ناحية الساحة الرملية لمسجد السعادة على شكل مثلث؛ وبنى فوق سقفه قبة غاية فى الصغر وأطلق على هذه القبة قبة الحجرة، قبة النور وعلى القبة الكبيرة التى فوق هذه القبة الخضراء والكسوة الشريفة التى ترسل من قبل الملوك إلى قبر السعادة تغرس فوق تلك القبة الصغيرة.

وقد مد فيما بعد حول حجرة السعادة قفص ويطلق على هذا القفص شبكة السعادة وفى داخل شبكة السعادة ستارة خضراء وفى خارجها ستائر ذات أهداب من خيوط ذهبية وفى غاية الجمال والزينة وتطلق عليها ستارة والستائر الخضراء تعلق من عند العقود التى تحمل القبة الخضراء.

وشبكة السعادة مصنوعة من حديد عادى ومدهون باللون الأخضر وتتكون من الشبكة ودار السيدة عائشة. التى هى مربع قبر السعادة أى ما بين الجدران

الأربعة يطلق عليه الحجرة المعطرة ولكنها فى الأصل داخل دار السيدة عائشة. ويقال للجهة القبلية من شبكة السعادة المواجهة الشريفة وعلى جهتها الغربية قدم السعادة وعلى جهتها الشرقية الروضة المطهرة على طرفها الشامى دار فاطمة السعيدة وقد نسجت فوق شبكة المواجهة بسلك أصفر شبكات صغيرة وكتبت فوق كل واحدة من هذه الشبكات عبارة لا إله إلا الله الملك الحق المبين، سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين.

وتطلق على الأبواب التى فى الجهة الشرقية من شبكة حجرة السعادة والغربية والشامية أبواب الحجرة ومفاتيحها من الفضة.

لا يستطيع أحد أن يدخل فى حجرة السعادة غير أغوات الحرم الشريف، إلا أن من يريدون أن يزوروا النبى ﷺ من داخل الشبكة يستطيعون أن يدخلوا مع الأغوات الذين يدخلون داخل الشبكة قبل عشرين دقيقة من صلاة المغرب لإيقاد القناديل.

ولا يستطيع أن يعرف ما بين الكسوة الشريفة والجدار الذى مده عمر بن عبد العزيز لا أغوات الحرم الشريف ولا أى شخص آخر، لأنه لا يوجد بين هذا الجدار والجدار الذى سبق تعريفه آنفا منفذ من باب أو نافذة غير تلك القبة الصغيرة التى سبق ذكرها، إلا أنه فتح ثقب صغير لتلك القبة فوق محاذاة قبر السعادة وحتى يمنع دخول الحمام أو الحيوانات الأخرى أو سقوطها قد سد بقفص منسوج بالسلك.

وبناء على بعض الروايات أن قبة النور داخل هذا الثقب؛ والغاية من فتح هذا الثقب ألا يترك حائل بين مرقد السعادة والسماء وحتى يؤمن هذا الأمر فتح منفذ آخر للقبة الخضراء فى محاذاة ذلك الثقب وعندما تكون الشمس المنيرة فى وسط النهار تدخل أشعتها إلى منفذ القبة الخضراء بين هذا المنفذ إلى منفذ قبة الحجرة ومن هنا ينشر الضوء فوق قبر السعادة وينير داخل مربع قبر السعادة، ولما كان المطر ينزل كان ولابد أن ينزل فوق قبر السعادة.

والفرجة التى بين شبكة السعادة وبيت فاطمة قد فرشت بالرخام والجهة العليا من هذه الفرجة حصرت لتعليق الأشياء التى يتبرك بها.

بين حجرة السعادة ودار السيدة فاطمة شبكة حديدية وفى هذه الشبكة باب صغير تدخل منه الشمعدانات التى اتخذ إدخالها إلى حجرة السعادة ليلاً عادة، وهى من الذهب.

لحجرة السعادة مائة قنديل ذات سلاسل ذهبية وفضية كما أن حول مرقد فاطمة أربعون قنديلاً ذات سلاسل ذهبية وفضية وهذه القناديل توقد كل ليلة؛ الكسوة التى فوق مرقد السيدة فاطمة هى كنفس الكسوة التى فى حجرة السعادة والأعلام التى ركزت على طرفى المزار الشريف قد زينت ورصعت بمجوهرات متنوعة، وهذه الأعلام قد أهديت من قبل والدة السلطان عبد العزيز ـ أسكنه الله فسيح جناته.

فى تعريف صورة تخليق[1] حجرة السعادة.

ذهبت والدة هارون الرشيد من خلفاء بنى العباس السيدة خيزران إلى الحجاز سنة (١٧٠) هـ وذلك بنية أداء فريضة الحج وهى محرمة وعند عودتها مرت بالمدينة وتسمى مؤنسة حتى تشرف على ذلك العمل.

وكانت مؤنسة تلك قد وضعت نظامًا معينًا لتخليق قبر السعادة وأسطوانة التوبة، وعلامة مصلى النبى ﷺ بناء على التعليمات التى وجهت إليها.

وقال إبراهيم بن فضل من صلحاء العصر لمؤنسة (إنك أبدعت قاعدة لم تر من قبل، وهذا شىء لا احتمال لنا بقبوله!!!) وأراد بهذا أن يمنع استمرار هذا النظام، إلا أن المشار إليها قالت له: هذا العمل ليس من رأيى، مادامت والدة الخليفة ترغب فى ذلك فلابد من أن نستمر فى ذلك، وبهذه الإجابة ردت ما عارضه إبراهيم بن فضل ومع هذا فقد تركت هذه القاعدة بعد مرور بعض الوقت.

(١) تركيب رائحة طيبة من الزعفران والمسك وصندل يقال له خلوق واستعمال هذا التركيب يقال له تخليق.

فى بيان وتعريف قناديل الحجرة الشريفة.

لا يعرف مهدى القناديل الذهبية والفضية ووقت إهدائها وتعليقها لمسجد السعادة والحجرة المعطرة، وقال: ابن النجار بعد أن أجرى التدقيقات التامة وهو يبين ويعرف عدد تلك القناديل وأنواعها وأماكن تعليقها.

كان فى صدر الإسلام بين شبكة الحجرة المنيفة والجدار القبلى للمسجد الشريف[1] أكثر من أربعين قنديلا معلقا على سقف المسجد الشريف، وكان بعض هذه القناديل من الذهب والأخرى مصنوعة من الفضة وكان بعضها كبيرًا وكان بعضها فى حجم صغير وكانت أهديت من قبل حكام الزمان والأصدقاء المخلصين. وكان أحد هذه القناديل مصنوعًا من البلور والآخر من الذهب كانا ثريتين فى غاية من الجمال وكان مرغوبًا فيهما لعدم وجود مثيل لهما فى ذلك العصر، وفيما بعد زادت رغبة أهل الإيمان فى إهداء القناديل إلى الحجرة المعطرة وزادت القناديل التى وردت حتى ضاقت الحجرة النبوية بها حتى لم يَبْقَ مكان فى داخلها لتعليق القناديل فيها.

وحينما رأى السادة وموظفو الحكومة أن الهدايا ترد واحدة تلو أخرى ولم يبق فى داخل حجرة السعادة مكان لتعليق القناديل، عندها أخذوا يخرجون القناديل القديمة فى قبة المسجد الشريف، والهدايا التى أرسلت فى خلال سنة (٨١٠) هـ زادت إلى حد أنه إذا سرقت إحداها فلا يعرف الشىء المسروق أى وصلت الهدايا المرسلة بحيث تزيد على العد والإحصاء، ومن هنا رأى المشار إليهم من أصحاب الرأى حفظ هذه القناديل فى داخل الصناديق المعدة لها حتى يحموها من سرقة عربان البادية الذين يردون فى مواسم الحج على أن يخرجوها فى الليالى المباركة

(١) وكان هذا المكان مواجهة السعادة، وهو المحل الذي يقف فيه زوار قبر السعادة.

لإيقادها مناوبة، ولكن حدث فى الوقت الذى قرر تنفيذ القرار السابق أن الشريف حسين بن عجلان الحسينى الذى عين لإمارة الحجاز من قبل ملك مصر الناصر فرج لبعض الأسباب عزل والى المدينة حجاز بن هبة الحجاز بن منصور الحسينى ونصب مكانه ثابت بن نصير المنصورى واليًا وعينه، إلا أن ثابت بن نصير مات قبل الوصول إلى المدينة، وعرف حجاز بن هبة الحجاز، أنه سيعين مكان ثابت بن نصير المتوفى شخص آخر بعزله، فأظهر عصيانه وضم إلى تبعيته بعض العربان الجهلة الحمقى وداس على شرف الإسلام ونهب منازل أعيان المدينة وسادتها بإغراء كلاب العربان ونباحهم.

واستولوا على القناديل الذهبية والفضية التى فى داخل مسجد السعادة والتى توضع بعد فى الصناديق المعدة لذلك وبهذه الطريقة أعلنوا عن عداوتهم وأظهروا شقاوتهم. هل أكتفى حجاز بن هبة بهذا القدر من الشقاوة واقتنع بها؟!! لا ـ وبعد هذه الوقاحة والسفالة أحضر سلمًا خاصًا لإنزال القناديل المعلقة وستارة مرقد السعادة الثمينة ولكنه لم يوفق فى ذلك وأخذ ستائر أبواب الحجرة المعطرة التى فى الخزانة النبوية وهرب من المدينة المنورة سنة (٨١١)هـ.

وإن كانت الحكومة المصرية استطاعت أن تقبض على السافل حجاز بن هبة بعد سنتين وقتلته إلا أن ذلك الخائن لم يكشف عن الأماكن التى دفن فيها الأشياء المنهوبة سواء أكان وقت عصيانه أو وقت استجوابه ومن هنا لم يخرج شىء منها إلى حيز الوجود.

والأشياء التى نهبها حجاز بن هبة الحجاز من مسجد السعادة صندوقان ذهبيان، خزانة صغيرة ذات درجين المملوءة بالذهب، وقناديل من الفضة تزن سبعة عشر قنطارا و٧٤٨٥ درهمًا.

وتراكمت كثير من الهدايا فى خزينة حجرة السعادة بعد هذه الواقعة الأليمة إلى سنة (٨٢٤) الهجرية فى ظرف ثلاث عشرة سنة إلا أن عزيز بن هبازع الذى كان واليا فى خلال تلك السنة استولى على هذه الهدايا قائلاً: «فلتبق هذه

الأشياء عندى على طريق الأمانة ولم يبق شيئًا سواء أكان فى الحجرة المقدسة أو الخزانة النبوية، وسيق عزيز بن هبازع تحت الحراسة إلى مصر بناء على إخبار بعض الذوات من السادات، وفى أثناء الاستجواب والتعذيب لم يؤخذ منه شىء. مع أنه قد ثبت بأدلة قاطعة أنه استولى على تلك الأشياء الثمينة وبناء على ذلك ظل مسجونا إلى أن توفى.

ومن سنة ٨٢٤ هـ إلى سنة ٨٦٠ هـ لم يمد أحد يد الإساءة والعدوان إلى ما أهدى إلى حجرة السعادة من قناديل ذهبية أو فضية، وفى خلال ٨٦٠ هـ مضى إلى المدينة المنورة شخصان بقصد زيارة المرقد الجليل وهما دبوس بن سعد الحسينى الطفيلى وبرغوث بن ثبير بن جريس الحسينى، إن هذين الخبيثين قد مدا نظرهما بالطمع إلى القناديل المعلقة فى حجرة السعادة، وفى الليلة السابعة والعشرين من ذى الحجة من سنة ٨٦٠ هـ دخلا فى الدار التى يطلق عليها «دار شباك»[1] وعرجا من هناك إلى جدار مسجد السعادة ودخلا من تحت الطنف داخل المسجد الشريف طمعًا فى سرقة قناديل قيمة وذلك بأخذ قنديل من بين كل قنديلين، وبما أن القناديل كانت كثيرة ومعلقة ملاصقة بعضها لبعض لم يحس أحد لمدة طويلة أن القناديل سرقت من مسجد السعادة وأخيراً فهم الأمر وقبض على الرجلين وأخذ ما فى أيديهم من قناديل وقتلوهما جزاء وفاقا.

غريبة

عندما سرق برغوث المنحوس قناديل مسجد السعادة هرب إلى ينبع ولما عرف ذلك كتب إلى مديرية ينبع البحر وألقى القبض عليه وألقى فى السجن إن هذا الشخص أليف الشقاوة هرب من سجن ينبع البحر وعاد إلى المدينة وحرص على أن يختفى فى مكان خفى.

إلا أن محل اختفائه أبلغ إلى الحكومة فقبض عليه وأخذت القناديل التى تحت

(١) إن ساحة سبيل المدرسة الشرقية الملاصقة لباب الرحمة كانت فى ذلك الوقت مكان «دار شباك» وكان هذا المنزل فى اتصال سقف مسجد السعادة وكانت دارا غير مسكونة.

يده ثم أرسل إلى دار البوار، وعندما ألقى السارق المذكور إلى السجن فى المدينة المنورة لاستجوابه سأله أحد المسجونين يا برغوث! بينما نجوت هاربا من سجن ينبع البحر ما سبب مجيئك إلى المدينة؟

فأجابه قائلا فى الواقع هذا سؤال وجيه مع أننى حينما هربت من سجن ينبع البحر وأردت أن ألجأ إلى الجبال كلما اتجهت إلى جهة ما قوبلت بسد حديدى سديد أمامى، كأن هناك من يدفعنى ناحية المدينة المنورة ويشوقنى للذهاب إليها وكلما توجهت ناحية المدينة أحسست فى قلبى انشراحا عجيبا، إننى لم آت هنا طلبا للمدينة ولم أتوجه أبدا ناحية طريق المدينة وللأسف الشديد وجدت نفسى وأنا أجول هنا وهناك، فى داخل حصن المدينة فاضطررت لأن أختفى فى جهة ما وأنا نفسى متحير فى الموضوع. انتهى.

وقد رأى شمس الدين زين الذى أرسل إلى المدينة المنورة من مصر مسندا إليه مهمة إمارة البناء قبل الحريق الثانى أن القناديل الذهبية والفضية قد كثرت فى مسجد السعادة وأن اللصوص يسرقونها كلما وجدوا فرصة سانحة أن يرسل القناديل التى تفيض عن الحاجة إلى مصر القاهرة لتذاب هناك وتضرب سككا لإنفاقها فى تجديد وتعمير مبانى مسجد السعادة وعرض ذلك على السلطان قايتباى المصرى وأعلمه وقد حازت تلك الفكرة من القبول لدى الحكومة المصرية وكتبت إلى والى ولاية المدينة بعمل ما يقتضى إجراؤه ومنها جمع كل ما أهدى إلى حجرة السعادة من الأشياء الثمينة ما عدا الستائر المهداة من قبل الملوك العلية واللوحة المرصعة والمزينة بالجواهر المعلقة على جدار ضريح السعادة وإرسالها إلى خزانة مصر فى سنة (٨٨٤) هـ.

وأنفق ما ضرب من المسكوكات فى تعمير الأبنية السعيدة، إلا أنهم ـ فى رأى ـ خالفوا أحكام الشريعة الإسلامية الغراء لأن الإمام السبكى يقول فى كتابه «تنزيل السكينة على قناديل المدينة»: «يجوز إهداء القناديل القيمة إلى حجرة السعادة وتعليقها إلا أن استيلاء الحكومة عليها لصرف قيمتها إلى مسجد السعادة غير جائز».

يدعى بعض المؤرخين بناء على ما تلقوه من المنابع الموثوقة من الأدلة المروية أنه عندما أخرجت تلك القناديل من خزانة حجرة السعادة قد احتفظ أحد المشايخ من مشايخ الحرم النبوى المرعى الخاطر ببعض تلك المعاليق وأنفقها فى وجوه البر والخير. وبعد عهد شمس بن زمن اتخذ ملوك الزمان مرة عادة إهداء الهدايا إلى حجرة السعادة ومن هذا القبيل ما أرسله إلى المدينة المنورة ناصر بن محمد بن قلاوون المصرى فى زمن سلطنته قنديلا فى غاية الجمال فى الصنع وفى الزينة ليعلق فى وسط قبة حجرة السعادة.

وفعلا علق ذلك القنديل وفق رأى ذلك الملك وتصويبه فى قبة الحجرة المسعودة ثم علق فى مكان مقابل محراب النبى بناء على استئذان شيخ الحرم شاهين جمالى بعد فترة.

كان ذلك القنديل الذى لا مثيل له قد صنع من صلب مذهب مزينا فى غاية الزينة وكتب على أطرافه دائرا ما دار قد جاء بهذا القنديل محمد بن قلاوون وعلقه وكلما أوقد كان يصدر من صقل صنعه نور مشع كأنه مصباح مصنوع من الجوهر وكان يغشى داخل حرم السعادة بأمواج الأنوار.

وإن كانت القناديل التى قدمت بعد ناصر بن قلاوون لا يعرف من أهداها ولا تاريخ إهدائها إلا أنه فى عصر الإمام السمهودى كان فى الحجرة المعطرة ثلاثون قنديلا من ذهب والباقى من الفضة ويبلغ عدد القناديل الكلية إلى ثلاثمائة خمسة وسبعين قنديلا وكان ثقل القناديل الفضية ستة وأربعين ألفا وأربعمائة ألف درهم، وورد فوق هذا فى سنة (٨٦٧) هـ ذهبا فى ثقل (١١٥٥) درهم ذهبا فى ثقل (٨٨٥) درهم فضة، ومن سنة (٨٦٢) إلى سنة (٨٦٩) ذهب فى ثقل (٢٢٥) درهم وقناديل فضية فى ثقل (١٢٧٥) درهما كما ورد فى سنة ثمانمائة إحدى وثلاثين (٤٢) درهما ذهبا و(٩٥٠) درهما من الفضة وبعده بسنة (١١٥٥) درهما فضة وفى ثمانمائة ثلاثة وثمانين ورد (٢٠) درهما ذهبا و(١١١٣) درهما

من الفضة وفى سنة ثمانمائة أربع وثمانين أيضًا (٧٤٥) درهمًا من قنديل فضى وفى ظرف هذه المدة أرسلت (١٣٠٠٠) قطعة عملة ذهبية وظل مهدى هذه المبالغ مجهولا فى نظر التاريخ ويا للأسف!! أن أمير المدينة حسن بن الزبير بن المنصور قام فى سنة (٩٠١) هـ ضد شريف مكة محمد بن بركات وأعد بعض المجرمين المسلحين فى السادس من ربيع الأول من نفس السنة وفى وقت الظهر دخل الحرم الشريف وقد أعد أدوات الحفر مثل الفأس والمجرفة وكسر باب خزانة حجرة السعادة ونهب جميع تلك الأشياء الثمينة كما أخذ مبلغ (١٣٠٠٠) المحفوظ فى الخزانة لصرفه على لوازم مسجد السعادة وانسحب إلى قلعته التى تسمى حصن الأمير ومعه تلك الأموال وأحضر الصياغ من السوق وأذاب جميع القناديل المصنوعة من الذهب والفضة.

وأدخل حسن بن الزبير كثيرا من أراذل الناس فى الحرم الشريف لينهبوا الخزانة النبوية وحملهم ما اغتصبه من القناديل كما حمل حصانين وبغلا بما اغتصبه ولما كان قد بقى تسعة أجولة من الفضة جاء بالحمالين من السوق وحملهم بها، هذا ما يروون.

قد جمع بعد هذا الحادث الحزين كثيرا من الأشياء النفيسة تزيد على العد والإحصاء فى حجرة السعادة وقد ذهب أكثر هذه الأشياء فى فتنة (١٠٩٩) وذلك بسبب إساءة محافظ جدة فى ذلك الوقت محمد بك أبو الشوارب.

لأن الشريف أحمد بن زيد الذى نال منصب الإمارة الجليلة فى عصر السلطان أحمد خان الثانى ابن السلطان إبراهيم مرض فى سنة (١٠٩٩) هـ واستدعى أشراف مكة قبل وفاته ووصاهم بأن ينصبوا نائبا له باتفاقهم قبل أن يرد الأمر من السلطان بذلك وأن يبذلوا جهودهم لحفظ حوالى الحجاز وحراسته بهذه الطريقة، ونصب محافظ جدة أبو الشوارب نائبا قبل أن ترد الإرادة السنية من باب السعادة وذلك باتفاق الأشراف ووصية الشريف أحمد بن زيد.

وأخذ ـ ليس من الشريف الذى بعث الأهالى طلبا إلى باب السعادة يرشحونه

لمنصب الإمارة متحدثين عن صلاحيته واستحقاقه للإمارة وتنصيبه شريفا، بل من خصمه الذى يناصبه العداء وهو الشريف أحمد بن غالب كثيرا من الأموال وقدم بعض ما أخذه من النقود الذهبية لأعيان مصر راجيا منهم أن يعملوا على إرسال الأمر العالى بإمارة الحجاز باسم أحمد بن غالب، وحتى لا يطلع الأشراف على هذا الأمر وكيفية سير الأمور أبرز أمر سلطانى مزيف وهرب الشريف القائم مقام (النائب) إلى اليمن وهكذا قد حصل الشريف أحمد بن غالب على منصب الإمارة قبل أن يرد الأمر السلطانى بذلك وأخذ يمد يده إلى أموال الأهالى بحرص شديد وتكتم فاستولى على جميع أموال التجار من سكان مكة المكرمة المجاورين وقتل كثيرين منهم فأخافهم، أرسل رسله إلى المدينة المنورة واغتصب كثيرا من النقود والمجوهرات عن طريق القرض، ثم هرب إلى البلاد العثمانية حتى ينجو من سطوة السلطان القاهرة.

أخذ الشريف أحمد بن غالب فى هذه الواقعة واغتصب كل ما جمع فى الخزانة النبوية من أشياء غالية نفيسة والمعاليق كلها، إلا أنه لم يستطع أن يمد يده للوحة الكوكب الدرى التى كان قدمها السلطان أحمد خان الثالث ابن السلطان محمد خان الرابع بعد أن نظمها.

إن الجوهر الذى يلمع ليلا والذى يشتهر بالكوكب الدرى ظل ماكثا من سنين طويلة فى الناحية التى تواجه الوجه النبوى الكريم من جدار ضريح السعادة لامع الأنوار فجلبه السلطان المشار إليه إلى خزانته على وجه التبرك وأرسل مكانه لوحة ذات جوهر منير.

كان السلطان أحمد خان الثالث أضاف إلى اللوحة المرصعة قطعة كبيرة من الماس، وكانت هذه القطعة من الماس بشدة لمعانها تملأ الجدار بالنور والضياء ومن هنا أطلق عليها (شب چراغ) أى منير الليل وكانت قد اشتريت فى عصر والد السلطان محمد خان الثالث بخمسين ألف دينار خالص العيار وقد أهداها بعد أن وضعها فوق لوحة ذهبية وزين أطرافها (٢٢٧) قطعة ذى قيمة من قطع ما سبق

لتعليقها مكان الكوكب الدرى وهو يقول بدلا ما تكون زينة الدنيا الزائلة أى بدلا ما يصنع منها فصا لخاتم يلبسه على إصبع أخرى أن تكون زادًا للآخرة وذخيرة عافية وكان قد أرسلها مع حسن باشا الذى كلفه توصيل ميزاب الرحمة وأشياء أخرى لبيت الله.

وأكمل حسن باشا مهمته الخاصة بمكة المعظمة أوصل تلك اللوحة المرصعة نادرة المثال إلى دار الهجرة النبوية ووضعها على جدار المرقد النبوى ساطع الأنوار وقلع الجوهر والكوكب الدرى، الذى اكتسب قيمته بوجوده فى ذلك المحل ذو المكانة العالية واكتسب شرفًا بقطع النظر عن قيمته المادية التى لا تدانى اللوحة المشار إليها وحمله إلى باب السعادة وأتى به.

وقد نقل مؤرخو الإسلام كل واحد منهم طريقا خاصا به ولكن أصح الروايات فيما بينهم رواية مؤلف «نزهة الناظرين» إذ قال والكوكب الدرى، قطعة من الماس الفاخرة وأصغر قليلا من بيض الحمام، وتحتها قطعة من الماس الأخرى وإن هذه الأخرى أكبر من الجوهرة التى فوقها، ويقدرون قيمة الكبيرة منها بثمانين ألف قطعة ذهبية.

قال العلامة الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى فى كتابه «كانوا وضعوا الكوكب الدرى مكان المسمار الفضى أى وضعوه فى محاذاة مواجهة السعادة، كان المسمار المذكور مزينا بالذهب وكان فوق رخام أحمر اللون وكان يقال لهذا الرخام الكوكب الدرى أيضا والمسافة بين هذا الرخام والمبدأ الغربى لحجرة السعادة خمسة أذرع وكل من يستقبل هذا الكوكب يكون قد اتجه نحو وجه السعادة والذين يريدون أن يعرضوا على النبى صلوات كباقات الورد ويريدون أن يقفوا فى هذا المكان عليهم أن يتخذوا الكوكب المذكور أمامهم، وما من مؤرخ أنكر أن هذا المكان يحاذى وجه السعادة إلا أن الشبكة التى مدت حول الحجرة الشريفة حالت دون رؤية ذلك المكان».

والآن إذا وقف أمام المصراع الأيمن لباب الشبكة الذى يسمى باب التوبة، نكون قد وجدنا فى مكان يحاذى وجه السعادة.

وكان السلطان مراد بن السلطان أحمد خان بعث مع السلحدار مصطفى باشا فى سنة ألف وأربعين لوحة مزينة، وبما أن هذه اللوحة كانت مزينة بجواهر متنوعة علقت تحت الكوكب الدرى أى على جدار ضريح السعادة، وفى سنة ١١٥٤ جاء إلى المدينة مشير جيش بلغراد على بن عبدى باشا وهو أمير حاج لمحمل الشام، وقدم المذكور عدة قطع جواهر مرصعة من جملة غنائم بلغراد إلى حجرة السعادة وعلقوا تلك الجواهر تحت اللوحة التى وردت فى تاريخ ١٠٤٠. وكان قد كتب على هذه اللوحة التى وضعت عليها تلك الجواهر أسماء النبى ﷺ وكريمته فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ وأسماء أصحابه الأربع المختارين الشريفة ـ رضى الله عنهم ـ.

وإنه مما لاشك فيه أن حجرة سيد الأنبياء ـ عليه ألمع التحايا ـ المعطرة من أسباب الاحتشامات الإضافية أى أن المرقد النبوى السعيد ذا نور باهر لا يحتاج إلى تزينه بالذهب والنقود إلا أن غرض المرحوم السلطان الذى اعتاد على الإخلاص أن يوقف إلى الحجرة المعطرة أثرًا يكفى ثمنه لتعمير وتجديد مبانى الحرمين الشريفين فلا أحوجنا الله لذلك. انتهى.

وعرض على حجرة السعادة بعد واقعة الشريف أحمد بن غالب من قبل الملوك العثمانيين أيضا هدايا كثيرة وقدمت حتى إن السلطان محمود خان الأول ابن السلطان مصطفى خان الثانى أهدى فى سنة ١١٦٢هـ مائدتين مزينتين بالذهب وعدد من الشمعدانات الذهبية وثريا ذكر شكلها وهيئتها فى الوجهة الحادية عشر والصورة الثالثة منها ثريا لا مثيل لها.

وقد قدم فيما بعد من قبل السلاطين الآخرين كثير من التحف النفيسة النادرة وكثير من ثريات مرصعة ذات سلاسل ذهبية وشمعدانات ذات جواهر وكثير من سلاسل مرصعة لتعليق الثريات فزينت سواء أكان ضريح السعادة أو خزانة حرم

الرسالة حتى صارت فى غاية الروعة وبهذا قد تراكمت فى الحجرة المنورة ذات الفيوضات الباهرة أشياء نفيسة وثمنية أكثر من العصور السابقة.

وكان فى خدمة الحجرة الطاهرة ضابط يسمى «مستلم» مكلف بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من النفائس التى سُرِقت من دار السكينة وقام ذلك الشخص بمهمته وأنقذ بعض ما يمكن إنقاذه، وبعث السلطان محمود رسولاً خاصًا لجلب ما أضير من قطعتين من الثريا المرصعتين بالزمرد والجوهر إلى إستانبول وبعد تعميرهما أعادهما إلى موقعهما المحترمين كما أرسل معهما ثلاث قطع من الثريا نفيسة من عنده دليلاً على مناقبه العالية.

وكانت إحدى الثريتين اللتين بعثهما السلطان محمود بعد صنعها مرصعة بماسة عريضة على مينا زرقاء وبنية ومزينة بالطغراء ذات سلسلة ذهبية وطرة على شكل بيض النعامة والأخرى قد رصعت من قطع الماس فوق الذهب وذات قطع ثلاث من الزمرد وذات طرة لؤلئى وسلسلة ذهبية.

ولها أرضية مصنوعة من قطعة واحدة من زمرد حتى يعلق عليها وأعلاها مرصع بالماس والياقوت على شكل غطاء علبة وذات تعليقه على شكل تاج، وكانت الثالثة على أرضية من مينا بنفسجى وعليها قطع مصنوعة من ماس «روزة» ذات سلسلة ذهبية وطرة لؤلؤية وعلى شكل بيض النعامة.

ولما كانت تلك الثريات غاية فى النفاسة والقيمة استقبلت فى حين وصولها إلى مدينة الرسول بتعظيم كامل وتفخيم وتبجيل وعلقت فى الأماكن المناسبة، كما أهدى فيما بعد السلطان عبد المجيد خان زوجا من شمعدان مرصعتين بالذهب وذات سمات ملكية تليق بالخليفة.

وهذه الأشياء سواء أكانت القناديل والثريات أو ما أرسل من طرف السلطان مراد الرابع والسلطان أحمد خان ـ عليهم الرحمة والغفران ـ من القناديل الذهبية والشمعدانات أو ما أرسله السلطان عبد المجيد خان والسلطان الحالى صاحب المفاخر من شمعدانات مرصعة من الذهب والفضة وأشياء أخرى ذات قيمة

موجودة كلها فى الخزانة النبوية، وتوقد بالمناوبة فى الحجرة المعطرة بصاحب الرسالة. وعلى كل حال فقد كتب عن مقدار هذه الأشياء وكميتها، وأنواعها وأجناسها فى صور الوجهة التاسعة كل واحد على حدة.

وإن كان مؤلف «نزهة الناظر» يذكر أن الكوكب الدرى الذى أخذ أهدى إلى شاه إيران وأرسله هذا بدوره بعد مدة إلى حجرة السعادة وفى زماننا تحت قباب مسجد السعادة ستمائة وعشرون قنديلاً غير قناديل الحجرة المعطرة، وسلاسل المعلقة منها فى الجهة القبلية من الجدار من فضة خالصة، وما علق منها فى الجهات الأخرى سلاسلها من النحاس الأصفر وبين أعمدة شبكة حجرة السعادة مائة قنديل وستة والقناديل التى فى مواجهة القبر عددها واحد وثلاثون ومرصعة وقد علقت بسلاسل بعضها ذهب خالص والبقية بسلاسل فضية.

وما علق على يمين ويسار السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ من قناديل ذات سلاسل فضية تدخل هذا الصف.

والشمعدانات الذهبية التى أهديت من قبل والد الخليفة كثير المحامد فى سنة (١٢٧٤) هـ تدخل كل ليلة قبل صلاة المغرب إلى حجرة السعادة وتوقد مناوبة من قبل شيخ الحرم ونائبه ومدير الخزانة، وينحصر إيقادها فى ليالى الجمع لقضاة المدينة، وتظل تلك الشمعدانات موقدة حتى الصباح فى الوجهة الشريفة وفى وقت السحر تخرج بواسطة الخدم وتوضع فى المخزن الذى يتصل بحجرة الأغوات وغير هذه القناديل كثير من الثريات وسواء أكانت هذه أو بعض القناديل المزينة معلقة فى حرم السعادة وبعضها محفوظة فى المخازن.

وتطلق على الثريات والقناديل المزينة المعلقة فى اصطلاح أهل المدينة (زينة الحرم)، ومن جملة ذلك ما علق فى وسط القباب التى من باب السلام إلى مواجهة السعادة من ثريات، يُوقد كل ليلة فى كل ثريا خمس شموع أو قنديل هذه قاعدة متبعة. وقد زين مسجد السعادة فى صورة كاملة وذلك بتعليق ثريا ذات أربعين شمعة فى قبة المحراب العثمانى وفى أسفل منها ثريا ذات ثلاثين

شمعة وفى محاذاة المواجهة الشريفة وفى جهة قدم السعادة ثريات متعددة من الفضة والفوانيس، وفى الساحة الخالية بين باب فاطمة وحجرة الأغوات وفى الروضة المطهرة ولاسيما جهة محراب النبى ومن باب السلام إلى باب الرحمة قد علقت كثير من الثريات البلورية والفوانيس، وكل هذه الثريات ذات شموع وإن كان بعضها أكبر من الأخرى إلا أن الثريا التى وضعت فى نقطة قريبة من قبر فاطمة ـ رضى الله عنها ـ لامع الأنوار أكبر الثريات جميعا لها أمكنة لوضع سبعين شمعة، وإن كان هناك شمعدانان من ثريا مذهبين إلا أن إيقادهما وتسريجهما كان يقتصر على ليالى المواسم والأعياد.

ومن باب السلام إلى المئذنة الرئيسية ومنها إلى مئذنتى المجيدية والعزيزية ومن هذه المآذن إلى القباب الموجودة إلى باب السلام قناديل معلقة بسلاسل فضية وتحت العقود التى تتصل دائرًا مادار بالساحة الرملية قناديل ذات سلاسل من النحاس الأصفر التى كانت قبل ذلك من الفضة ولكن بعضها سرقت من مؤخر حرم السعادة فنقلت البقية من السلاسل الفضية المعلقة إلى الخزانة النبوية وعلقت مكانها سلاسل من النحاس الأصفر.

ويبلغ عدد القناديل التى توقد سواء أكان فى الأماكن التى ذكرت أو فى داخل الأبواب وخارجها إلى ستمائة وأربعين قنديلا وتوقد فى ثلاثمائة منها الشموع وتسرج بقيتها بزيت زيتون، أما الفوانيس التى ركزت على السور الخشبى الذى بين حدود الحرم الشريف وشموع المحاريب الشريفة والشموع الخاصة بقراءة أجزاء القرآن فى الروضة المطهرة وقناديل الحجرة المعطرة والقناديل التى توقد فى ليالى رمضان والمواسم وفى الليالى التى تصل المحامل فيها إلى المدينة والقناديل التى توقد حتى الصباح فوق المآذن يصل عددها إلى ثمانمائة قنديل وهو خارج هذا الحساب.

الصورة الثامنة

فى تعريف الشبكة الشريفة التى تحيط بالحجرة المعطرة ودار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة.

تصور السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس المصرى الذى أدى فريضة الحج سنة ٦٦٧هـ أن يحيط الحجرة الشريفة بسور خشبى بشرط أن تؤدى الصلاة بداخله وعند عودته إلى مصر أمر بصنع ذلك السور الخشبى وفق رأيه وبعثه إلى المدينةالمنورة فى سنة ٦٦٨هـ فأحاط حجرة السعادة دائرا ما دار بشبكة خشبية فى ارتفاع قامة رجل وأطلقوا لهذه الشبكة المقصورة ولما استحال أداء صلاة حيث تمر الشبكة أراد العلماء أن يصرف النظر عن وضع هذه الشبكة وبلغوا بعد ذلك مُعَرِّضين بهذا العمل محاولين أن يثيروا الأهالى إلا أن أحداً لم يعر أذنا صاغية لتلك التبليغات والتعريضات.

وكانت للشبكة التى تطلق عليها المقصورة ثلاثة أبواب يفتح أحدها إلى الجهة الشرقية والآخر إلى الجهة الغربية والثالث إلى الجهة القبلية، وبعد ست وعشرين سنة رفع زين الدين كتبغا العادل الشبكة التى أرسلها الظاهر ركن الدين إلى سقف المسجد وفى سنة (٧٢٩) هـ فتح باب آخر إلى الجهة الشامية، وفى سنة ٨٥٣ هـ يعنى فى عهد الظاهر حسن المصرى صنع سقف لطيف أمام الباب الذى فتح مجددا عرضه ستة أذرع وفرش ساحته الأرضية برخام مجلى، واحترقت كل هذه الأشياء فى حريق ٨٨٦ هـ ومن هنا صنعت شبكة جهتها القبلية مصنوعة من النحاس وجهاتها الأخرى الثلاث من الحديد شبكة ملاصقة لسقف المسجد الشريف وغطى أعلاها بقفص مصنوع من أسلاك نحاسية.

والشبكة التى صنعت وفق التعريف المشروح كان بابها فى الجهة القبلية من خشب الساج وأبوابها الأخرى مصنوعة من ألواح حديدية، وقد بدلت مصاريع

الشبكة الشريفة مؤخرا بأقفاص مصنوعة من النحاس وصنعت شبكة أخرى للجهة الشامية من المقصورة وكان ما بين الشبكة الجديدة وحجرة السعادة منفصلا، وكان لهذه الشبكة بابان أحدهما على يمين مثلث الحجرة الشريفة والآخر على اليسار، ولأن جزءاً من حجرة السعادة ظل فى داخل الشبكة التى صنعت مؤخرا كان الدخول إلى شبكة الحجرة الشريفة من شبكة ذلك المثلث وتحفظ دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة بهذه الصورة.

وقد سرد بعض المؤرخين بعض الأدلة والبراهين حتى لا يحملوا الظاهر ركن الدين جريرة استحالة الصلاة فى بعض أماكن الروضة المطهرة بسبب هذه الشبكة وقالوا إن الظاهر ركن الدين قد أمر بصنع تلك الشبكة تغطيا للحجرة الشريفة ومقتديا فى ذلك بعمر بن عبد العزيز وذكروا أن هذه الأدلة غير قابلة للاعتراض عليها إلا أن خطأ هؤلاء الذين يرون هذا الرأى واضح، لأن عمر بن عبد العزيز أحاط مدفن السعادة بجدار حتى لا يشبه البيت الحرام وترك أبواب هذا الجدار مفتوحة ليكون لأداء الناس الصلاة فى داخله فى غير مواسم الحج وهذا لا ينكره أحد.

وكانت أبواب الشبكة التى أرسلت من قبل الظاهر ركن الدين مغلقة فى عهد برسباى لغير أرباب اليسار والثروة.

وبناء على ذلك فالذين يدخلون فى الحجرة المعطرة معدودون ويزورونها خفية ليلا، وإن أرسل كثير من الطلبات لرفع مثل هذه البدعة إلا أن جميع هذه الطلبات قوبلت بالصمت والسكوت ولم يستجب إلى ماطلبه الراجون وكان الفساد هو السبب فى ظهور هذه البدعة السيئة فى ذلك العصر لأن كل امرأة كانت يرخص لها فى جميع الأوقات بالدخول فى داخل المقصورة وكان ذلك قاعدة ذلك العصر كُنَّ يصحبن معهن أولادهن وكان الأولاد بحكم طفولتهم يلعبون فى داخل المقصورة ويحطمون ما بأيديهم فيملئون الحجرة المعطرة بالكناسة، وبناء على ذلك اتخذت بدعة عدم إدخال الزوار فى داخل الحجرة المعطرة حتى تحفظ داخل المقصورة الشريفة نظيفة وكم كتبوا من طلبات راجين

رفع السور إلا أنهم فهموا استحالة ذلك وتمنوا على الأقل أن تظل أبواب السور مفتوحة، وفى الواقع أن إنشاء هذه المقصورة منع كثيرا من الشرور.

وقال المؤرخ ابن فرحون وهو يعرف الشرور التى حدثت بعد صنع شبكة المقصورة «ووقت فتح الأبواب كان شر المقصورة التى أحدثت فى الطرف الغربى من حجرة السعادة شرا عامـًا، ولما كانت طائفة الإمامية قد اعتادت أن تجتمع داخل هذه المقصورة لأداء الصلاة وكانوا يظنون أن المقصورة مكان صنع من أجلهم وخاص بهم، من هنا كانوا يشقون صفوف المصلين ويمرون من أمامهم ولا يراعون الأصول.

وفى الواقع قد ندم صانع المقصورة وقد رأى هذه الحالات إلا أن الأمر كان قد حدث ومن هنا لم يملك غير السكوت».

والطائفة الرذيلة التى حصرت داخل المقصورة لجماعتها كان أفرادها يؤذنون بصوت عال ويقولون بدلا من «حى على الصلاة»، «حى على خير العمل» وكان مدرسوهم يعقدون الحلقات ويعظون ويبذلون جهدهم لنشر مذهب الرفض والإباحة وتعميمه، وفى الحقيقة قد انكسر نفوذ الطائفة المذكورة ولم تبق لهم أى قيمة، إذ فتحت أبواب المقصورة وضم بعض أماكنها إلى حجرة السعادة.

وكان ركن الدين بيبرس قد بنى هذه المقصورة بنية عرض تعظيمه وتوقيره لحجرة السعادة، ولكن القضية قد انعكست لأن طائفة الإمامية اتخذت شبكة المقصورة نقطة اجتماع لها.

وبعد أحداث شبكة المقصورة بأربعة وستين سنة يعنى فى سنة ٧٣٢ هـ الهجرية ذهب الملك الناصر إلى الحج أيضا ومر بالمدينة المنورة حين العودة وأمر بغلق أبواب الحجرة المعطرة متبعًا آثار أسلافه فظهرت فى عهده بدعة منع الدخول فى حجرة السعادة فى غير أوقات تعمير القناديل.

ولما ظلت دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ومقام جبريل داخل شبكة حجرة السعادة حرم الناس من زيارتها، وكان سبب حرمان الناس من زيارة دار فاطمة

- رضى الله عنها - ومقام جبريل قاضى الشام نجم الدين أفندى، إذ جاء نجم الدين أفندى لأداء الحج مع قافلة الشام ورأى اقتحام الناس حجرة السعادة مزدحمين فأفتى بغلق الأبواب، وإن كان ولى الدين العراقى أفتى بعد فترة بفتح الأبواب ففتحت أبواب الحجرة الشريفة إلا أن نجم الدين أفندى أفتى فتوى جديدة فى سنة ٨٢٨ هـ وأغلق أبواب حجرة السعادة.

واستصوب فى تلك الفترة الإمام السمهودى أن تظل أبواب الحجرة الشريفة مفتوحة لزيارة الناس، ووقف كثير من علماء المدينة الميمونة ضد الفتوى الصادرة من قاضى الشام نجم الدين أفندى وأيدوا الفتوى التى أصدرها ولى الدين أفندى العراقى وصدقوا الإمام السمهودى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا موظفى الحكومة فظلت أبواب الحجرة المعطرة مغلقة.

قال الإمام السمهودى لأحد أحبابه وهو يبين وجهة نظره فى فتح أبواب الحجرة المعطرة «يا أخى، إن إغلاق أبواب حجرة السعادة يؤدى إلى تعطيل ذلك المكان والناس يمسون هذا المكان أو ذاك بنية الاستعارة ويعطون ظهورهم لشبكة السعادة وهذا غير لائق، ورأيى أن تفتح أبواب حجرة السعادة حتى يحال بين الناس وبين ارتكاب الحرام، وهذا موافق لحكم الشرع وبهذا ندفع المكروه، وكنت أبحث عن طريقة للحصول على إرادة سنية من الملك الأشرف قايتباى الذى أتى إلى المدينة سنة ٨٨٠ هـ للزيارة لفتح أبواب حجرة السعادة وقد قام بأداء مراسم الزيارة من مكان قريب من باب السلام ناهيك عن دخول الحجرة المعطرة، وفى النهاية تقربت منه وقلت له بعد أن مهدت بمقدمة مناسبة لو كنت دخلت فى الحجرة المعطرة لنلت من الفوائد الدينية والدنيوية وأردت بهذا النهج الإشارة إلى لزوم دخوله إلى الحجرة المعطرة.

فقال لى «إذا أمكن زيارة صاحب الرسالة - عليه السلام - من مكان أبعد لما تجرأت أن أقترب منه بهذا القرار» ولما سمعت رد قايتباى المصرى هذا اضطررت للسكوت وإذا كنت قلت له لو أمرت برفع بدعة إغلاق الأبواب كان من البديهى أن إجابته بجواب الرفض وهذا لا يحتاج إلى تفكير عميق. انتهى.

إن فكرة الإمام السمهودى هذه صحيحة جدا ومخلصة، إلا أن ذاته الفاضلة لو أدرك العصور التى ظلت أبواب حجرة السعادة مغلقة ولم يعن فيها تطهير حرم السعادة وتنظيفه مع وجود كثيرين من الخدم لمسجد السعادة والأوقات التى تعقد فيها حلقات الاجتماعات حيث يجلس فيها كما يجلس فى الأسواق وحيث ينم فيها هذا أو ذاك العصر الذى يسكت فيه عن هذه البدعة الموظفون الشرعيون والسياسيون لو أدرك تلك العصور لاشك فى أنه كان سيحكم بإصابة القاضى نجم الدين فى فتواه.

وقد أطلق على الشبكة التى أمر بصنعها الظاهر ركن الدين المقصورة فى ذلك الوقت ولكن فيما بعد ترك اسم المقصورة وأطلق عليها الشبكة ولداخلها الحجرة المعطرة ولأبواب المقصورة أبواب الحجرة وللقناديل المعلقة داخل هذه الشبكة قناديل الحجرة المعطرة[1].

تعريف شكل شبكة السعادة وما عليها من خطوط: إن الشبكة التى تحيط بالحجرة المعطرة دائرًا مادار ذات أربعة زوايا وقد صنعت فى غاية الإتقان فى الصنع وفى هيئة مكلفة ودقيقة.

وتتكون جهاتها الشرقية والغربية كل واحدة منها من ست قطع وجهاتها الجنوبية والشمالية كل واحدة منها من ثلاث قطع أى أنها كلها تتكون من ثمانى عشرة قطعة شبكة وفى كل زاوية من زواياها باب ذو فيوضات وكان يطلق على الباب الذى ينظر جهة الشرق أى الباب الذى يوجد فى الجهة الشرقية من الشبكة باب فاطمة من الأبواب الثلاثة التى فتحت للمقصورة فى عهد الظاهر ركن الدين وباب المعلا هذا يفتح ناحية البقيع ويروى أنه قبر السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ يوجد فى داخل هذا الباب ويطلق على الباب الذى فى الجهة الغربية من الحجرة المعطرة باب الوفود وباب التوبة، والباب الذى بباب الوفود ينظر داخل الروضة المطهرة ووجه تسميته بهذا الاسم استقبال وفود العرب ومساكن القبائل فى هذا المكان فى عصر النبى ﷺ وإكرامهم وإطعامهم فيه، والباب اللطيف

(١) مازالت إلى الآن معروفة بهذا الاسم.

الذى يقع فى الجهة الجنوبية للحجرة الشريفة يطلق عليه باب المواجهة والباب الذى يقع فى الطرف الشمالى يعرف بباب التوسل[1].

وينظر باب المواجهة نحو جدار القبلة وباب التوسل الذى فتح فى سنة (٢٩) هـ ناحية محراب التهجد ينظر ناحية الشام أى إلى مؤخرة حرم السعادة وتوجد فى يمين باب التوسل ويساره لوحة علقت فى عهد السلطان قايتباى وقد حُكت عليها بالذهب العبارة المباركة «لا إله إلا الله الملك الحق المبين، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين». الشبكة ذات الثمانى عشرة قطعة التى شرحت وفصلت جهاتها قد كتب بخط قديم جلى فوق جهاتها العليا دائرا ما دار القصيدة البليغة الآتية وإن هذه القصيدة للثناء من الآثار الجليلة التى وفق فى تسطيرها السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان سنة (١١٩١) هـ وقد حررت بدءًا من الجهة الخارجية لشبكة حجرة السعادة ومن الناحية التى تنظر إلى الجدار القبلى.

القصيدة

يـا سيدى يـا رسـول الله خـذ بيـدى ... مـالى سواك ولا الـورى إلـى أحـد
فـأنت نـور الهـدى فـى كـل كائنـة ... وأنت سـر النـدى يا خـير معتمـد
وأنت حقـا غيـاث الخـلق أجمعهم ... وأنت هـادى الورى لله ذى السـؤدد
يـا من يقـوم مقـام الحمـد منفـردًا ... للواحـد الفرد لـم يولـد ولـم يـلد
يـا مـن تفجـرت الأنهـار نابـعة ... من أصبعـه فـأروى الجيـش بالمـدد
إنـى إذا مسـنى مـا يـرو عـنى ... أقول يـا سـيد السـادات يا سـندى
كـن لى شـفيعا إلى الرحمن من زلل ... يوافين على بمـا لا كـان فى خلـدى
وانظر بعـين الرضى لـى دائمـا أبـدا ... واستر بفضـلك تقصيرى مدى الأمد

(١) يقال لهذا الباب: الباب الشامى أيضا.

واعطف عـلى بعفـو منك يشملنى فـإننى عنـك يـا مـولاى لـم أحـد
إنى توسـلت بـالمختـار أشـرف مـن رقى السمـوات سر الواحـد الأحـد
رب الحجـال تعـالـى الله خالقـه فمـثله فـى جميـع الخـلق لـم أجـد
خير الخـلائق أعـلا المرسـلين ذرى ذخر الأنـام وهـاديهـم إلـى الرشـد
بـه التجـأت لَعَـلَّ الله يغفـر لـى هـذا الـذى هـو فى ظنى ومعتقدى
فمدحـه لم يـزل لأبى مـدى عمـرى وحبُّـه عـند رب العـرش مستنـدى
علـيه أزكى صـلاة لـم تـزل أبـدًا مـع السـلام بـلا حصـر ولا عـدد
والآل والصحـب أهـل المجـد قاطبـةً بحر السـماح وأهـل الجـود والكـرم

هناك فى الجهة القبلية من حجرة السعادة أى فى الجهة التى يطلق عليها «مواجهة السعادة»، ثلاث شبكات نورية كل واحدة من هذه الشبكات ذات مصراعين وعلى طرز أقفاص أربعة صفوف وهى محفورة وفوق الحفر (أويمة) قد حفرت العبارة المنجية (لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) وكذلك قد سطرت العبارة سالفة الذكر فى سطرين على باب مواجهة السعادة الذى يطلق عليه باب المواجهة الصغير والذى يوجد فى وسط الشبكة الثانية.

محراب التهجد: يقع محراب التهجد فى وسط ثلاث قطع من التى تقع من الجهة الشمالية من حجرة السعادة وكتب فى نطاق مقعر المحراب الشريف المذكور وطاقه الذهبى بخط جلى الآية الكريمة ﴿ **فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: ٨٠] وعلى جهته اليمنى كتب بخط كوفى ﴿ **نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الصف: ١٣) يا محمد.

على جهته اليسرى كتب أيضا بخط كوفى الآية الكريمة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وكلها منقوشة بذهب خالص العيار كما كتبت الآية الكريمة بخط كوفى على يمين الباب الذى يسمى باب التوسل أو الباب الشامى وهو فى الشبكة الأولى من الشبكات الثلاث.

﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف : ١٣)

كما كتبت فوق الجدار المتصل بالشبكة الثالثة بخط كوفى الآية الكريمة المنيفة ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وكتب فوق الجدار المتصل بالشبكة الأولى التى تقع فى الطرف الغربى من حجرة السعادة ﴿ **اللهم صل على سيدنا محمد الذى أخبر فى صحيح الخبر أن حول العرش ستين ألف عالم يستغفرون لمحب أبى بكر وعمر ويلعنون مبغض أبى بكر وعمر** ﴾ كما كتب فى الذيل هذا الحديث قال النبى عليه الصلاة والسلام: «ما بين بيتى ومنبرى، روضة من رياض الجنة، ومنبرى على ترعة من ترع الجنة»[1] الخبر الصحيح اللطيف، وعلقت لوحة مذهبة مزينة تحتوى على القطعة الآتية البديعة، على الأسطوانة التى بين الحجرة المقدسة ومحراب النبى.

القطعة

هذا الرسول المجتبى الذى هو أيضا رحمة للعالمين.

قال جبريل الأمين إذ زار روضته:

لتفخر الأرض على الأفلاك قائلة..

فىَّ دفن الرسول هذه هى جنات عدن.. فادخلوها خالدين.

(١) سبق تخريجه.

فى ذكر قبة حجرة السعادة

قبل أن يحترق مسجد مدينة دار السكينة لم تكن فوق الحجرة المعطرة قبة منفصلة فبنى فوق سقف مسجد السعادة جدار من اللبن ارتفاع ذراع ونصف ذراع ليكون علامة على الحجرة المنيفة وموقع مدفن السعادة.

بنى السلطان الصالح قلاوون المصرى فى سنة (٦٧٨) هـ قبة جميلة قاعدتها مربعة وسطحها مثمن وغطى فوقها بالرصاص.

وصنع حول القبة المذكورة سوراً خشبيا حتى يرى مكان الجدار سالف الذكر علامة الحجرة المنيفة، كما أحاط ما بين سقف المسجد والقبة الجديدة بشبكة خشبية وكانت عقود القبة المذكورة فوق أعمدة الحجرة المعطرة التى تحاذى أسطوانة الصندوق، ووقعت منافرة أدت إلى القيل والقال بين أحمد كمال ابن هارون عبد القوى الربعى الذى أشرف على بناء هذه القبة وبين ولاة المدينة، وصادر والى المدينة علم الدين الشجاعى أموال أحمد كمال كلها وهدم بيته وخربه وبين أن من لا ينفذ أمر ولاة المدينة يتعرضون للعقاب وهذه هى عادة مرعية بين ولاة المدينة ثم اقتلع أحجار البيت الذى هدمه وبنى بها مدرسة المنصورية.

وكان غرض أحمد كمال بن هارون من هذه الخدمة أداء عمل خالص لصاحب الرسالة بناء على الأمر الذى تلقاه من الحكومة المصرية، ولا شبهة فى ذلك، ولكنه إذ سمح لبعض النجارين القيام بحركات غير لائقة فوق مرقد السعادة من هنا يقتضى أن يقع تحت براثن العقوبة.

وظلت قبة الحجرة المعطرة التى بناها السلطان الصالح قلاوون إلى عصر الملك

الناصر حسن بن محمد قلاوون على هيئتها الأصلية وفى هذه الفترة لم تمد إليها يد الإصلاح والتعمير.

حتى إن غطاءها الرصاص قد فسد وخرب وأخذت مياه الأمطار تنفذ من خلاله ومن هنا جدده الملك الناصر أول مرة فى خلال سنة (٧٥٥) هـ كما جددها شعبان حسين بن محمد فى خلال سنة (٧٦٥) هـ مرة ثانية وفى آخر الأمر جددها الملك الظاهر جقمق المصرى تحت إشراف أمير برديك فى غاية المتانة وأصلحها وعمرها، ولما احترقت فى الحريق الثانى جددها السلطان قايتباى بانيا جدرانها من حجارة سوداء وأعمدتها من حجارة بيضاء منحوتة جددها فى غاية المتانة وفوق المطلوب وذلك فى سنة (٨٨٧) هـ.

وبناء على هذا التقدير فإن قبة الحجرة المعطرة كانت من الخشب فى الصدر الأول ثم حولت إلى البناء الحجرى فى عهد قايتباى المصرى.

وروى الإمام السمهودى أن القبة التى تحولت إلى البناء الحجرى كان ارتفاعها من أعلى قمتها ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع وبناء على هذا حالت دون رؤية كسوة مرقد السعادة.